أم هـــارون

تابعية ثقة

من ربات العبادة والصلاح والزهد والتقشف

تتلمذ لها أبو سليمان الدارانى الزاهد الكبير

وحكى عنها عبد الرحيم بن صالح الدارانى وأحمد بن أبى الحوارى وعبد العزيز بن عمير وقاسم الجوعى عابدة من عابدات خراسان فقد عرفت بأم هارون الخراسانية .

* ذاك رجل أحب الطاعة

سأل أبو سليمان الدارانى أم هارون فقال :

ـ ما تقولين الرجل يحب لقاء الله ؟

قالت أم هارون :

ـ ويحك ذاك رجل ثقلت عليه الطاعة وأحب الراحة منها

فقال أبو سليمان الدارانى :

ـ فإنه إذا أحب البقاء فى الدنيا

قالت أم هارون :

ـ بخ بخ ذاك رجل أحب الطاعة وأحب أن يبقى لها وتبقى له ثم سلم

فقال أبو سليمان :

ـ أتحبين الموت ؟

قالت أم هارون الخراسانية :

ـ لا

obeikandi.com

قال أبو سليمان الدارانى :

ـ ولم تكرهين لقاء الله تعالى ؟

ففاضت دموعها بالانتحاب وقالت :

ـ يا أبا سليمان :لو عصيت آدميا ما حببت لقاءه فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته؟

فصرخ أبو سليمان ووقع مغشيا عليه

* تعال يا كلب

يقول قاسم :

كانت أم هارون تأتى بيت المقدس من دمشق كل شهر مرة على رجليها

فدخلت عليها فقالت :

يا قاسم كنت أمشى ببيسان ـ بفتح فسكون وهى قرية فى فلسطين ـ فإذا عرض لى أسد فمشى نحوى فلما قرب منى نظرت إليه فقلت :

ـ تعال يا كلب : إذا كان لك رزق فكل

فلما سمع كلامى أقعى ثم ولى راجعا

فقال قاسم :

كان لبعض الصالحين أخ يزوره كل سنة مرة ، فجاء يوما لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته :

ـ من ؟

فقال :

ـ أخو زوجك فى الله تعالى جاء لزيارته

فقالت :

ـ إنه ذهب ليحتطب لا رده الله

وبالغت فى شتمه وسبه

وبينما هو كذلك إذ رأى أخاه مقبلا ومعه أسد يحمل حزمة حطب

فلما دنا سلم على أخيه ورحب به ، ثم أنزل الحطب عن ظهر الأسد وقال له :

ـ اذهب بارك الله فيك

ثم أدخل صاحبه وامرأته تسبه فلا يجيبها

وأطعم الزوج أخاه فى الله ثم ودعه فانصرف وهو متعجب غاية العجب من صبره على سب امرأته

ثم جاء العام الثانى فدق الباب فقالت امرأته :

ـ من ؟

قال :

ـ أخو زوجك فى الله جاء يزوره

قالت الزوجة :

ـ مرحبا

وبالغت فى الثناء عليه ، وأمرته بانتظاره ، فجاء وهو حامل على ظهره الحطب

وأطعم الزوج أخاه فى الله وزوجته تبالغ فى الترحيب والثناء عليه

ولما أراد مفارقته سأله عما رأى من تلك الزوجة ومن هذه ومن حمل الأسد أول مرة وحمله الحطب على ظهره فى الثانية

فقال الزوج :

ـ يا أخى : توفيت تلك الشريرة وكنت صابرا على أذيتها وبغيها ـ تعديها واستطالتها ـ فسخر الله لى الأسد الذى رأيته يحمل الحطب بصبرى عليها ، وصرت الآن أحمل الحطب على ظهرى لراحتى مع هذه .

* يا مجيب الدعوات

تقول أم هارون الخراسانية :

أصابتنى خصاصة ـ فقر ـ فجئت إلى بعض إخوانى فأخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة

فخرجت من منزله إلى الجبانة وصليت ما شاء الله ثم وضعت وجهى على الأرض وقلت :

يا مسبب الأسباب

يا فاتح الأبواب

يا سامع الأصوات

يا مجيب الدعوات

يا قاضى الحاجات

اكفنى بحلالك عن حرامك

واغننى بفضلك عمن سواك

تقول أم هارون :

فو الله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى

فرفعت رأسى فإذا بحدأة طرحت كيسا أحمر فذا فيه مائة دينار

* مجلس العلم

ذات ليلة جلست أم هارون مع أبى سليمان الدارانى وأحمد بن أبى الحوارى وعبد العزيز بن عمير .

فقالت أم هارون :

ـ ما تقول يا أبا سليمان فى الدنيا ؟

قال أبو سليمان الدارانى :

قال عيسى ابن مريم عليه السلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها

فقالت أم هارون لأحمد بن أبى الحوارى :

ـ ما تقول يا أبا الحسن فى قصر الأمل ؟

قال أحمد بن أبى الحوارى :

قصر الأمل أصل خير ، كما أن تطويله أصل كل شر ، فإن من يقدر فى نفسه أنه لا يعيش غدا لا يسعى لكفاية غد ولا يهتم بها ،فيصير حرا من رق الحرص والطمع والذل وخدمة أبناء الدنيا ويكفيه كل شىء .

ومن قدر أن يعيش عشر سنين مثلا فإنه يصير عبداً للذل والطمع والحرص وخدمة أبناء الدنيا ولا يملأ عينيه إلا التراب .

فقالت أم هارون لعبد العزيز بن عمير :

ـ من المملوك ؟

قال عبد العزيز بن عمير :

من ملك هواه واتبع رضا مولاه

فقالت أم هارون لأحمد بن أبى الحوارى :

ـ ما تقول يا أبا الحسن فى اللسان ؟

قال أحمد بن أبى الحوارى :

ـ لا أجد خيرا من قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو يوصى ابنه الحسين :

يا بنى أمسك عليك لسانك فإن إتلاف المرء فى منطقه

قال عبد العزيز بن عمير :

احفظ لسانك واستعذ من شره إن اللسان هو العدو الذابح

فسكتت أم هارون فقال أبو سليمان :

ـ لماذا لزمت الصمت يا أم هارون ؟

قالت أم هارون :

ـ إنى لم أندم على السكوت قط وقد ندمت على الكلام مرارا

فقال أبو سليمان الدارانى :

ـ ما تقولين أنت يا أم هارون فى اللسان ؟

قالت أم هارون :

ـ قيل فى الحكمة : لسانك أسدك إن أطلقته فرسك ـ أهلكك ـ وإن أمسكته حرسك

ثم تساءلت أم هارون :

ـ من أول من يشرب من حوض رسول اللهﷺ ؟

قال عبد العزيز بن عمير :

ـ قال رسول اللهﷺ : أول من يشرب من حوضى صهيب الرومى ـ صهيب بن سنان الرومى ـ

قالت أم هارون :

ـ وأول من يأكل من ثمر الجنة ؟

قال أحمد بن أبى الحوارى :

قال النبىﷺ : وأول من يأكل من ثمر الجنة أبو الدحداح ـ ثابت بن الدحداح ـ

فقالت أم هارون :

ـ وأول من تصافحه الملائكة فى مفازة القيامة ؟

obeikandi.com

قال أبو سليمان الدارانى :

قال رسول الله ﷺ : وأول من يصافحه الملائكة فى مفازة القيامة أبو الدرداء ـ عويمر بن مالك ـ

* كيف أدركت هذه المنزلة ؟

قالت أم هارون الخراسانية :

كان فى بنى إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما إلى أن مشيا على الماء ، فبينما هما يمشيان على الماء فى البحر إذ هما برجل يمشى فى الهواء فقالا :

ـ يا عبد الله : بأى شىء أدركت هذه المنزلة ؟

قال :

ـ بيسير من الدنيا فطمعت نفسى عن الشهوات وكففت لسانى عما لا يعنينى ورغبت فيما دعانى الله إليه ولزمت الصمت ، فإن أقسمت على الله أبر قسمى وإن سألته أعطانى .

* السوق

كانت أم هارون تذهب إلى السوق لا لتشترى شيئا ولكن إذا دخلت السوق قالت بصوت مرتفع : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

كانت تعلم أن ذكر الله فى مكان غفل فيه الناس عن ذكر الله تضاعف فيه الحسنات بألف بألف ، فكانت أم هارون تذهب إلى السوق لنيل فضيلة هذا الذكر .

* قالوا عن أم هارون :

* قال عبد العزيز بن عمير :

كانت أم هارون من الخائفات العابدات قد أنزلت الدنيا منزلتها فكانت تأكل الخبز وحده.

* قال أحمد بن أبى الحوارى :

خرجت أم هارون من قريتها تريد موضعها فصاح صبى بصبى :

ـ خذوه

فسقطت أم هارون فوقعت على حجر فدميت ، فظهر الدم من مقنعتها ـ ما تستر به المرأة رأسها وتغطيه ـ

* قال أبو سليمان الدارانى :

من أراد أن ينظر إلى صعق ـ إذا غشى على الإنسان أو ذهب عقله من صوت يسمعه ـ صحيح فلينظر إلى أم هارون .

وقال أيضا :

ما كنت أرى أنه يكون بالشام مثلها

* قالت رابعة العدوية الشامية زوج أحمد بن أبى الحوارى :

ما دهنت أم هارون رأسها منذ عشرين سنة ، فإذا كشفنا رؤوسنا كان شعرها أحسن من شعورنا

* قال القاسم الجوعى :

دخلنا على أم هارون نعودها أنا وصاحب لى وهى على طرف الدرجة فسألنا عن حالها فقلنا لها :

ـ أم هارون : أيكون من العباد من يشغله خوف النيران عن الشوق إلى الجنان ؟

فقالت :

ـ آه

وسقطت عن الدرجة مغشيا عليها

* قال أحمد بن أبى الحوارى :

ـ قلت لأم هارون :

أتحبين الموت ؟

قالت :

ـ لا

قلت :

ـ لِمَ ؟

قالت :

ـ لو عصيت آدميا ما أحببت لقاءه ، فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته ؟

obeikandl.com